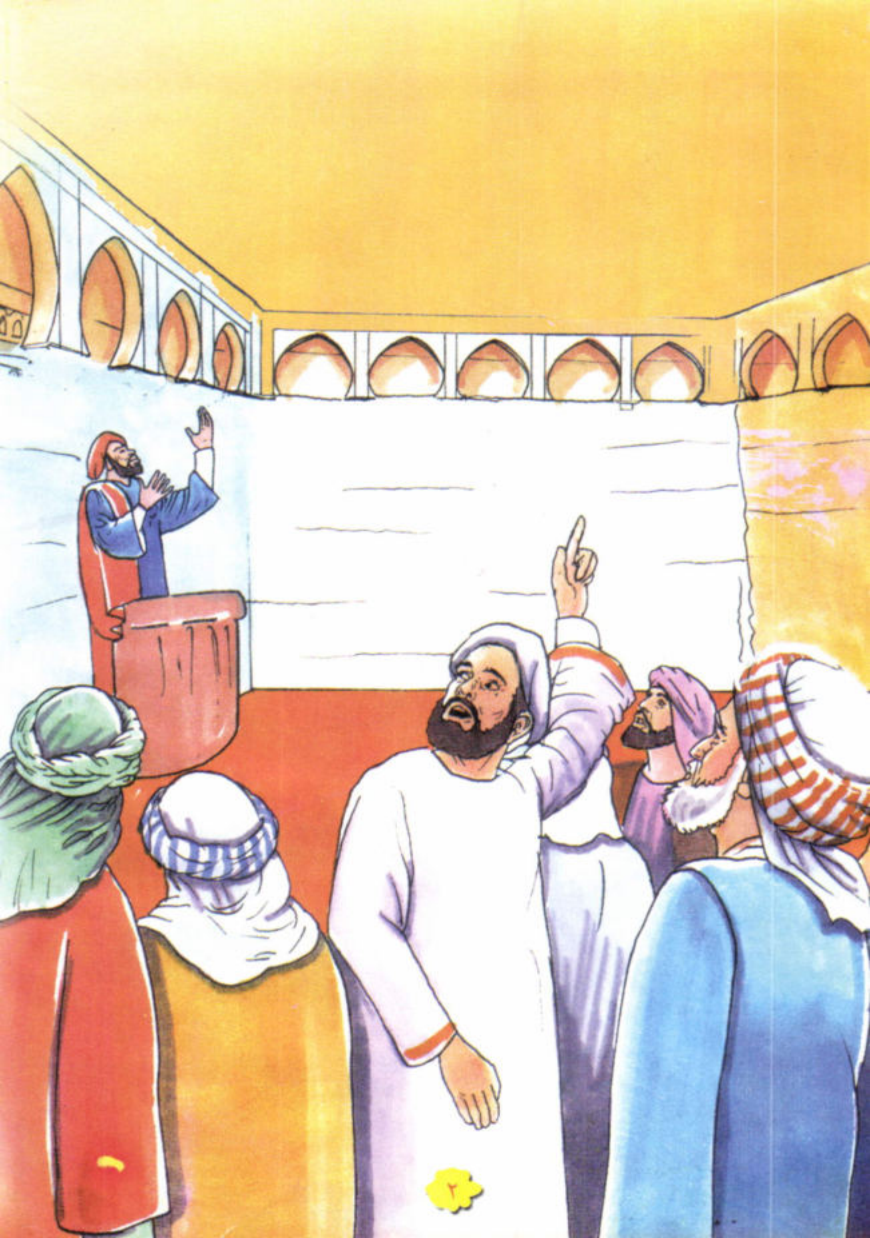
سلسلة الصحابة الأخيار

# حجر بن عدي





تَغَيَّرَ الزَّمانُ بَعدَ استِشهادِ أميـرِ المؤمِنينَ عليه السلام، وَصارَ بنو أُمَيَّةَ حُكّاماً وَسلاطينَ لأمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم!

وَيا لَلعَجَبُ في أن يَقِفَ واحِـدٌ كالمُغيرَةِ بنِ شُعبَةَ على منـابِرِ المُسلِمينَ، فَيَذُمُّ بِأوَّلِ المُسلِمينَ إسلاماً، وَأقْرَبِهِم إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: صاحبِ السَّيفِ البَتّارِ الّذي ما رَفَعَهُ قطُّ إلاّ في سَبيلِ اللّهِ، وَإعزازِ دَولَةِ الإسلامِ وَالمُسلِمينَ!.

نَعَمْ . لَقَدْ سَبَحَ الضَّلالُ بالنّاسِ بَعيداً عن شاطِئِ الهُدى، وَها هِيَ طائِفَةٌ منهُم تَجْتَمِعُ في المَسجِدِ وَتُصغي إلى حديثِ المُغيرَةِ، هذِهِ الطّائِفَةُ الّتي تَحَدَّثَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام عنها بِقَولِهِ: "يَميلونَ مَعَ كُلِّ ريحٍ".

إذاً صارَ المُغيرَةُ بنُ شُعبَةَ والِياً لِلكوفَةِ، وَقامَ كَعادَتِهِ يَخْطُبُ على المِنبَرِ، فَيَذُمُّ بالأميرِ عليه السلام شيعَتِهِ، وَيَلعَنُ قَتَلَةَ عُثمانَ بنَ عفّانٍ، ثُمَّ يَستَغفِرُ لِعُثمانَ وَيُعطيهِ صفاتِ القَداسَةِ والإيمانِ وَيُزَكّيهِ.



فَجأةً قامَ من بينِ النّاسِ رَجُلٌ يَقطُرُ النّورُ من وَجهِـهِ، وَرَتَّـلَ آيَةً منَ القُرآنِ الكَريم قائلاً﴿ يا أيُّها الّذينَ آمَنوا كونوا قوّامينَ بالقِسطِ شُهَداءَ لِلّهِ وَلَو على أنفُسِكُم.﴾

ثُمَّ أردفَ وَعيونُ النّاسِ تَرنو بِدَهشَةٍ إلَيهِ:" وَإنّي أَشهَدُ أنَّ مَنْ تَذُمّونَ أحقُّ بالفَضْلِ مِمَّنْ تُطْـرونَ، وَمَنْ تُزَكّـونَ أحَقُّ بالذَّمِّ مِمَّنْ تُعيبونَ!.".

حَمْـلَقَ المُغيرَةُ في الرَّجُـلِ وَقَـد جَحَظَتْ عينـاهُ منَ الدَّهشَةِ لِجُرأَتِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِمـا لِبَني أُمَيَّةَ مِنْ بَطْشٍ وَاستِكْبـارٍ وَإِجْـرامٍ!

لَقَدْ عَرَفَهُ! إنَّهُ واحِدٌ من أصحابِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام المَعروفينَ. هذا هُوَ حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ! وَمَنْ يَفوقُهُ جُرأةً في أن يقولَ ما قالَهُ؟

وَهَتَفَ المُغيرَةُ يقولُ:" يا حُجْرُ! وَيحَكَ! أُكفُفْ عَن هذا! واتَّقِ غَضْبَةَ السُّلطانِ وَسَطْوَتَه، فَإنَّها كَثيراً ما تَقْتُلُ مِثلَكَ.".









قالَ المُغيرَةُ ذلكَ، لكنَّهُ لَم يَجرُؤْ على أن يَمَسَّ حُجْراً بِسوءٍ، لِخَوفِهِ من أن يَنجُمَ عن ذلكَ ثَورَةٌ بَينَ النّاسِ الّذينَ بدأوا يَتَملمَلونَ مِن أفعالِ سَلاطينِ بَني أُمَيَّةَ الظّالِمَةِ بحقِّ العامَّةِ استِضْعافِهِمْ إيّاهُمْ، إضافَةً إلى تَطاوُلِهِم على آلِ بَيتِ النُّبُوَّةِ!

أمّا حُجْرُ فَصارَ يَرتادُ المَسْجِدَ باسْتِمرارٍ، وَيَنتَظِرُ المُغيرَةَ في كُلِّ مَرَّةٍ يتناوَلُ فيها أميرَ المُؤمِنينَ عليه السلام بالذَّمِّ، فَيَرُدُّ عَلَيهِ، وَيَسْمِعُ كُلَّ مَنْ في المَسجِدِ صَوتَهُ.

كَيفَ لا وَهُوَ صاحِبُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام الّذي أخلَصَ للنَّبيِّ وَآلِ بَيْتِهِ أيَّما إخلاصٍ.

فَهُوَ حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ بنِ مُعاوِيَةَ الكِنديُّ، أبو عَبدِ الرَّحمنِ، الّذي عَرِفَ بِحُجرِ الخَيرِ، لما عَرَفَهُ النّاسُ من تَقواهُ وَصَلاحِهِ، والْتِزامِهِ بتعاليمِ الإسلامِ أفضَلَ التِزامٍ، كما عُرِفَ بِحُجْرَ الأدبَرِ.

لَم يَكُنْ حُجْرُ حَدَثَ السِّنِّ حينَ تَولّى الإمامُ عليٌّ عليه السلام خِلافَةَ المُسلِمينَ، فَقَدْ عَرَفَ الإسلامَ مُنذُ زَمَنٍ بَعيدٍ، إذ كانَ يعيشُ في زَمَنِ الجاهِلِيَّةِ يومَ تَعَرَّفَ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، فَجَمَعَ أصحابَهُ وانطَلَقَ إلَيهِ، يَشْهَدُ بينَ يَدَيهِ بِأن لا إله إلاّ اللّهُ، وَأنَّ مُحَمَّداً رَسولُ اللّهِ!



بَعدَ ذلِكَ انطَلَقَ في مَسيرَةِ الهُدى الّتي دلَّهُ اللّهُ سُبحانَهُ عليها بَعْدَ أَنْ مَلأَ قَلْبَهُ إيماناً وَنوراً، وعَلَّمَهُ النَّبيُّ ﷺ كَيفَ يمضي فيها حَياتَهُ بَعيداً عن زُخرُفِ الدُّنيا وَمَتاعِها.

وَكَذلكَ كانَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام حاضِراً في أطوَلِ فَتْرَةٍ من عُمرِ حُجْرَ بنِ عُدَيٍّ، يُعَلِّمُهُ وَيَغرِسُ في قَلبِهِ غِراسَ الفَضيلَةِ والأخلاقِ المُحَمَّدِيَّةِ الأصيلَةِ.

وَبَرَزَ حُجرُ بنُ عُـدَيٍّ، العَبـدُ الصّالِحُ بِقَلبِـهِ السَّليم، وَأخلاقِـهِ السّامِيَةِ، وَنَفسٍ مُؤْمِنَةٍ تَعالَتْ على حُبِّ الدُّنيا وَشَهَواتِها، فَكانَ كَثيرَ الصَّلاةِ وَالصِّيامِ، مُستَجابَ الدُّعاءِ،باسِلاً شُجاعاً، لا تَأْخُذُهُ في اللّهِ لَومَةُ لائِم.

هذِهِ الصِّفـاتُ كانَتْ أقَـلَّ مايُمكِنُ أنْ يَظْهَـرَ في سُلوكِ رَجُلٍ عَرَفَ يَنبوعَ الطُّهرِ فَوَرَدَهُ، وَقضى أيّامَهُ قَريبـاً منَ الإمـام أميرِ المُؤمِنينَ عليه السلام، يَتَعَلَّمُ وَيَتَأَدَّبُ من عِلـم وَأدَبِ النُّبُوَّةِ والإمامَـةِ.

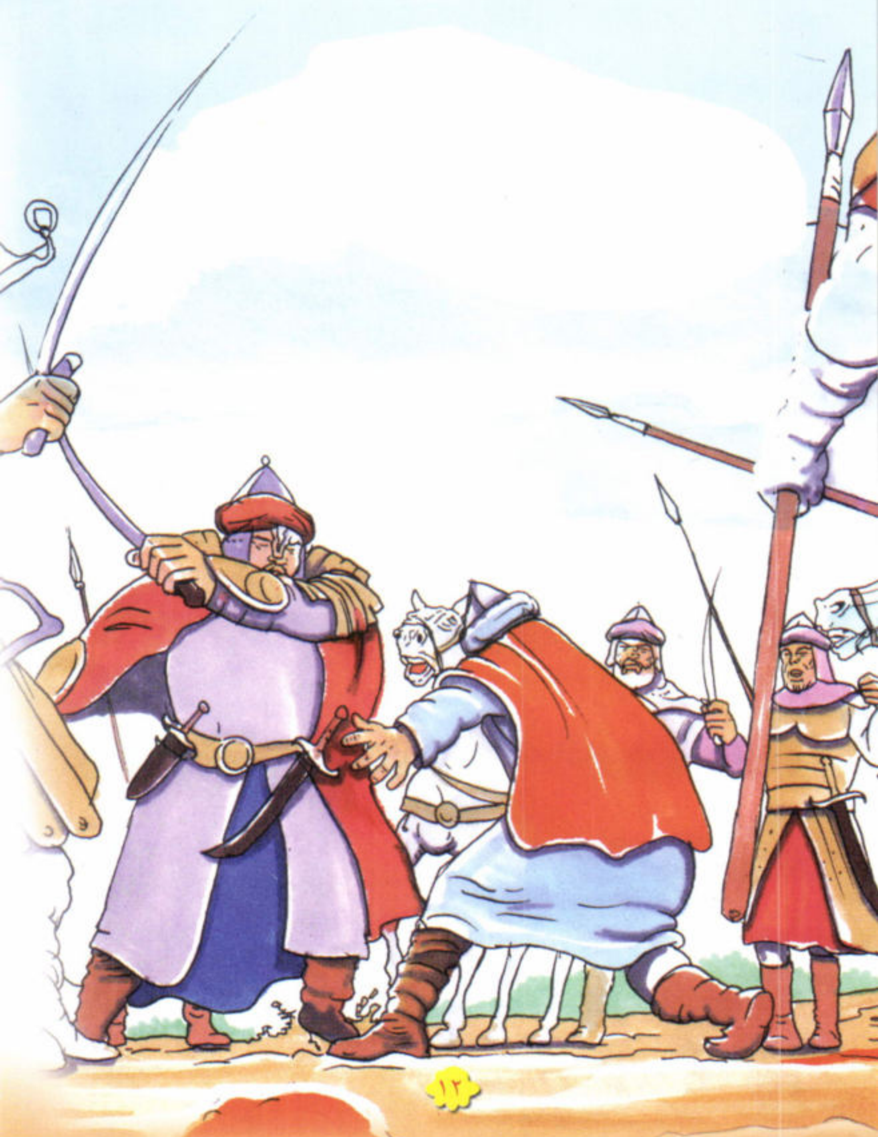
وَبَعدَ وَفـاةِ النَّبيِّ الأكْرَم ﷺ غَدا حُجْـرُ بنُ عُدَيٍّ واحِـداً من أصْحابِ الإمـام عليٍّ عليه السلام المُقَـرَّبينَ. عاشَ مَعَـهُ كُلَّ الفَتَـراتِ العَصيبَةِ في حَياةِ أُمَّةِ الإسلام، وَعانى ماعاناهُ من استِهتارِ عُثمانَ بِمبادِئِ الإسلامِ، وَخُروجِهِ على تَعاليمِ النُّبُوَّةِ.



في تِلكَ الأيّام، لَم يَقِفْ حُجْرُ الخَيرِ مَوقِفاً حِيادِيّـاً مِمّا يَجري، بَلْ إنَّهُ انضَمَّ إلَى جُمْلَةِ الثّائِرينَ على عُثمـانَ، وَالمُنادينَ بِحَـقِّ الإمام عليٍّ عليه السلام في خِلافَةِ المُسلِمينَ.

وَبَعدَ أنْ تولّى أميرُ المُؤمِنينَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام الخِلافَـةَ، وَضَعَ حُجْرُ نَفْسَهُ بَينَ يَدَيِّ الإمـام عليه السلام، فَشارَكَ في كُلِّ حُروبِهِ، ضِدَّ مَنْ أشْعَلَهـا، مِن مُبغِضي آلِ بَيتِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم كَي يَمْنَعـوا تَنفيذَ وَصِيَّةِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم حَسَداً وَحِقداً لآلِ بَيْتِهِ الأطهارِ عليهم السلام،وَعِشْقـاً للدُّنيا، وَإرضاءً لاشْتِهائِهِمُ السُّلطَةَ وَالمالَ.

فَفي مَعْرَكَةِ الجَمَلِ، كانَ حُجْرُ قائِداً على خَيّالَةِ كِنْدَةَ، كما عَيَّنَهُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام في صِفّينَ أميراً على قَبيلَتِهِ كِنْدَةَ،وَكانَ لَهُ مَوْقِفٌ شَهيرٌ فيها، إذ قامَ وَقالَ للإمام عليٍّ عليه السلام: " يا أميرَ المُؤمِنينَ! نَحنُ بَنو الحَربِ وَأهلُها، الَّذينَ نَلْقَحُها وَنُنْتِجُها، قَدْ ضارَسَتْنا وَضارَسْناها (جَرَّبَتنا وَجَرَّبناها) وَلَنا أعوانٌ ذَوو صَلاح، وَعَشيرَةٌ ذاتُ عَدَدٍ، وَرأيٌ مُجرَّبٌ، وَبَأسٌ مَحمـودٌ، وَأزِمَّتُنا مُنْقـادَةٌ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطّـاعَةِ، فَإنْ شَرَّقْتَ شَرَّقْنـا، وَإنْ غَرَّبْتَ غَرَّبْنا، وَما أمَرْتَنا بِهِ مِنْ أمْرٍ فَعَلْناهُ."



فَقالَ لَهُ الإمــامُ عَلِيٌّ عليه السلام:" أَكُــلُّ قَوْمِكَ يَرى مِثْلَ رَأْيِكَ؟". قــالَ حُجْـرُ:" ما رأَيْتُ مِنْهُم إلاّ حَسَناً، وَهذِهِ يَدي عَنْهُـم بالسَّمْـعِ والطّاعَةِ، وَبِحُسْنِ الإجابَةِ.".

فَقالَ لَهُ الإمامُ عليٌّ عليه السلام خيراً، بَعْدَ أَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ بَيْنَ المُؤْمِنينَ مَنْ يَحْمِلُ هذا الإيمانَ مُضافاً إلى قِسْطٍ وافِرٍ مِنَ الشَّجاعَةِ.

أمّا في يَومِ النَّهروانِ فَقَدْ قادَ قِسماً كَبيراً من جَيشِ الإمـامِ عليٍّ عليه السلام. ولا يُمكِنُ أنْ يَنسى التّاريخُ يَومَ أَرْسَلَ مُعاوِيَةُ جَيْشاً مُؤَلَّفاً من حوالى الأربَعَةِ آلافِ فارِسٍ بِقِيادَةِ الضَّحّاكِ بنِ قَيْسٍ الفَهْرِيِّ نَحوَ الكوفَةِ، وَقَدْ أَمَرَهُ بِأَنْ يُغيرَ على كُلِّ مَنْ يُوالي الإمامَ عَلِيّاً بنَ أبي طالبٍ عليه السلام مِنَ الأقوامِ ، وَيَسْرِقَ وَيَنْهَبَ ما يَجِدُهُ في طَريقِــهِ. فَأَسْرَعَ الضَّحّاكُ في تَلبِيَةِ أَمْرِ مُعاوِيَةَ،فَسَرَقَ وَنَهَبَ وَقَتَـلَ،وَلَـمْ يَسْلَمْ حُجّاجُ بَيْتِ اللّهِ الحَرامِ منْ غارَتِهِ تِلكَ، حتّى أَنَّهُ قَتَـلَ في طَريقِهِ عمـــرو بنَ عُمَيسٍ، وَهُوَ ابنُ أَخٍ لِعَبدِ اللّــهِ بنِ مَسعودٍ صاحِبِ رَسولِ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، كما قَتَلَ جَماعَةً من أَصْحابِهِ.



فَخَرَجَ الإمامُ عليه السلام يدعو النّاسَ إلى القِتالِ كَي يَرُدّوا جَيشَ مُعاوِيَةَ عن أفْعالِهِ الشَّنيعَةِ.
وَلَم يَسْتَجِبِ النّاسُ لِدَعْوَةِ الإمـام عَلِيٍّ عليه السلام كَمـا يَجِبُ، بَـلْ إنَّ الكَثيرينَ مِنْهُمْ تَخاذَلوا وَتَوانَوا. فَكَرِهَ الإمامُ عَلِيٌّ عليه السلام منْهُم ذلكَ، وَمَضى إلى القِتالِ بِمَنْ مَعَهُ.
ثُمَّ دعا حُجْرَ بنَ عُدَيٍّ إلَيهِ، الّذي لَمْ يَكُنْ لِيَتَأَخَّرَ عَنْ تَلْبِيَةِ أمْـرِ الإمام عليه السلام، فَأَرسَلَهُ عليه السلام بِأَربَعَةِ آلافٍ مِنَ المُقاتِلينَ لِمُلاقاةِ جَيشِ مُعاوِيَةَ الّذي كانَ في طَريقِ عَودَتِهِ إلى الشّام.
وَفي الشّام التَقى الجَيْشانِ قُرْبَ تَدْمُرَ، وكانَ النَّصْرُ حَليفاً لِجَيشِ الإمام عليه السلام بِقِيادَةِ حُجْرَ، الّذي استَطاعَ أن يَقتُلَ تِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً من جَيشِ مُعاوِيَةَ، وَلَم يَتَوَقَّفِ القِتالُ إلاّ بِحُلولِ اللّيلِ، إذِ اغْتَنَمَ فيهِ جَيشُ مُعاوِيَةَ الظَّلامَ، وَفَرَّ نَحوَ الشّام.
هذِهِ هِيَ الحَياةُ الّتي أرادَ حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ لِنَفسِهِ أنْ يَعيشَها في ظِلِّ الإمامَةِ العَظيمَةِ، وَهُوَ يَعلَمُ أنَّ هذِهِ الحَياةَ لَيسَتْ سَهْلَةً، وَلَنْ تَكونَ إلاّ جِهاداً في جِهادٍ.
وَهكَذا انْقَضَتْ حَياتُهُ مُجاهِداً تَحْتَ لِواءِ الإمام عليٍّ عليه السلام، حتّى جاءَتِ اللّيلَةُ المَوْعودَةُ، لَيلَةَ التّاسِعَ عَشَرَ من رَمَضانَ سَنَةَ هـ



كانَ الإمامُ عليٌّ عليه السلام على مَوْعِدٍ مَعَ الشَّهادَةِ في شَهرِ رَمَضانَ المُبارَكِ، بَعدَ أنْ جاءَهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم في المَنام، ومَسَحَ الغُبارَ عَنْ وَجْهِهِ، قائِلاً:" ياعليُّ! لا عَلَيك، قَدْ قَضَيتَ ماعَلَيك.".

وَفي لَيلَةِ استِشْهادِهِ، خَرَجَ الإمامُ عليه السلام إلى المَسْجِدِ عِندَ السَّحَرِ لأداءِ الصَّلاةِ.

كانَ حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ في تِلكَ اللّيلَةِ بائِتاً في المَسْجِدِ، وَفيما هُوَ قائِمٌ يُصَلّي في إحدى نواحي المَسْجِدِ، إذ بِهِ يَسْمَعُ رَجُلاً من رِجالِ مُعاوِيَةَ يُقالُ لَهُ الأشْعَثُ وَهُوَ يُخاطِبُ رَجُلاً آخَرَ من الخَوارِجِ.كانَ ذلِكَ الرَّجُلُ هُوَ عَبْدَ الرَّحمنِ بنَ مَلْجَم، أمّا الأشْعَثُ فَكانَ يَقولُ لَهُ:" النَّجاءَ .النَّجاءَ لِحاجَتِكَ، فَقَدْ فَضَحَكَ الصُّبحُ!".

فَهِمَ حُجْرُ أنَّ الرَّجُلَ يَنوي قَتْلَ الإمام عليٍّ عليه السلام، فَأسْرَعَ في الحالِ وَخَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ كَيْ يُخْبِرَ الإمامَ عَلِيّاً عليه السلام وَيُحَذِّرَهُ.

لَم يَكَدْ حُجْرُ يَخْرُجُ منَ المَسْجِدِ حَتّى سَمِعَ صِياحَ النّاسِ من داخِلِهِ، وَهُمْ يَقولونَ:" قُتِلَ أميرُ المُؤمِنينَ! قتِلَ أميرُ المُؤمِنينَ!".



نَعَم، لَقَدْ خَرَجَ حُجْرُ من بابٍ، فيما دَخَلَ أميرُ المُؤمِنينَ (عليه السلام) من بابٍ آخَرَ!

فَتَمَكَّنَ عَبدُ الرّحمنِ بنُ مَلْجَمٍ مِنْ أنْ يَضْرِبَ الإمامَ (عليه السلام) على رأسِهِ الشَّريفِ بِسَيْفٍ مَسْموم.

وَبَعدَ ذلكَ بلَيْلَتَينِ، اسْتُشْهِدَ أميرُ المُؤْمِنينَ (عليه السلام)، وَكانَتْ شَهادَتُهُ تُصادِفُ لَيلَةَ نَزَلَ القُرآنُ الكَريمُ.وَكانَ أميرُ المُؤمِنينَ (عليه السلام) قَدْ أَوصى وَلَدَيهِ الحَسَنَينِ (عليهما السلام)، وَقالَ لَهُما:" إذا مِتُّ فَغَسِّلاني، وَحَنِّطاني، وَاحمِلاني باللّيلِ سِرّاً، واحمِلا يابَنِيَّ بِمُؤَخَّرِ السَّريرِ وَاتْبَعاهُ، فَإذا وُضِعَ فَضَعا، وادفُناني في القَبرِ الّذي يوضَعُ السَّريرُ عَلَيهِ، وادفُناني مَعَ مَنْ يُعينُكُما على دَفْني في اللّيلِ وَسَوِّياهُ".

لَقَدْ حَمَلَتِ الملائِكَةُ السَّريرَ مَعَ الحَسَنَينِ (عليهما السلام)، وَكانَ اللّهُ سُبحانَهُ قَدْ هَيَّأَ للإمامِ (عليه السلام) مَوْضِعَ قَبْرِهِ في قَبرِ النَّبيِّ نوحٍ (عليه السلام).

عَمَّ الحُزْنُ بَيْنَ النّاسِ أسىً على فَقْدِهِمْ أميرَ المُؤْمِنينَ (عليه السلام)، وَشَعَرَ الكَثيرونَ بالأَسَفِ والنَّدَمِ لِخِذْلانِهِمْ إيّاهُ، وَتَخَلُّفِهِمْ عَنِ الجِهادِ تَحتَ رايَتِهِ، وَلَمْ يُرَ مِنهُم في تِلكَ الأيّامِ إلاّ باكٍ أوْ حَزينٍ.

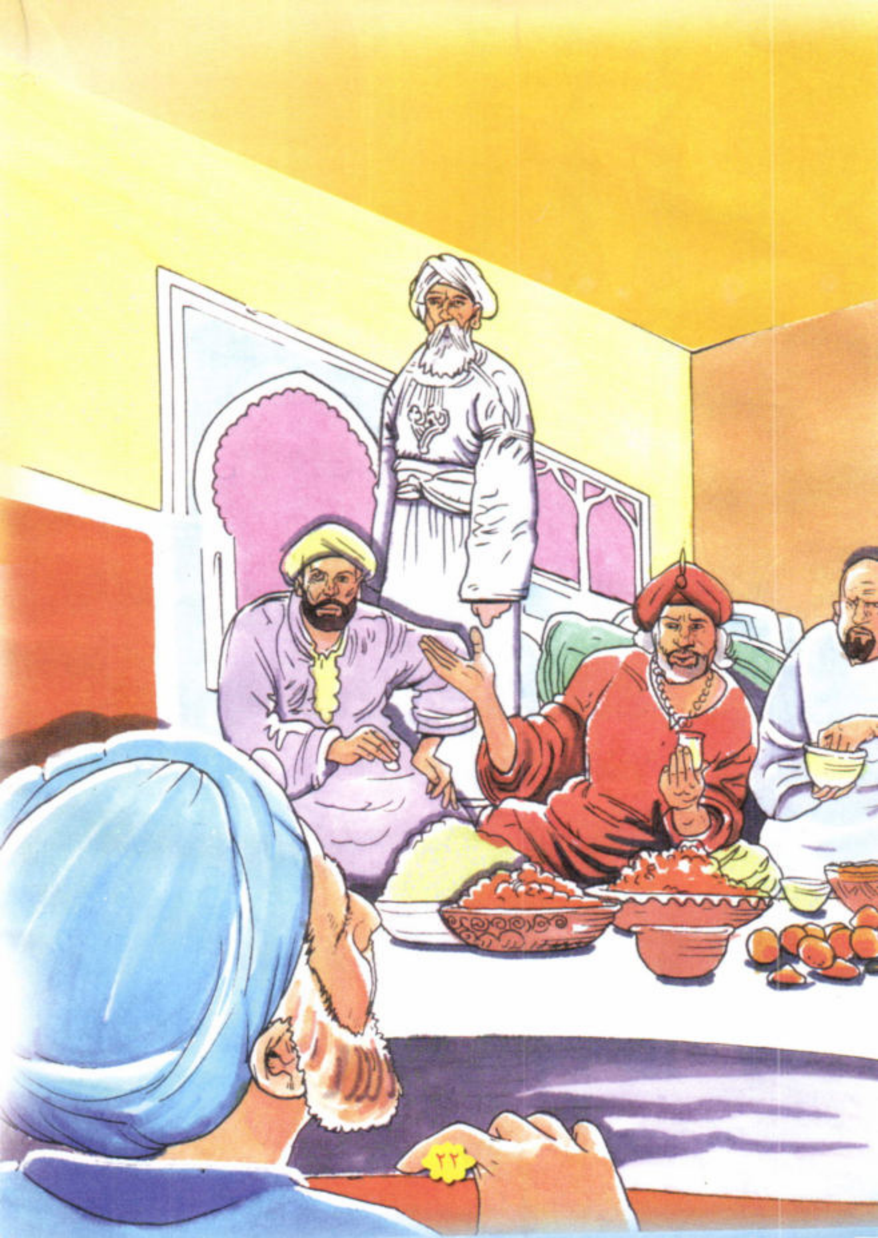


وَلَم يَلبَثِ النّاسُ بَعدَ أنْ قامَ الإمامانِ الحَسَنُ وَالحُسَينُ عليهما السلام بِدَفنِ الإمام أميرِ المُؤمنينَ عليه السلام وَالصّلاةِ عَلَيهِ، أن بايَعوا الإمامَ الحَسَنَ عليه السلام خَليفَةً وَوَصِيّاً من بَعدِهِ.

وَمَرَّتِ الأيّامُ، الَّتي اسْتَعْمَلَ فيها مُعاوِيَةُ كُلَّ مَكائِدِهِ، وَأَساليبَ احتِيالِهِ كَيْ يَنْتَزِعَ الخِلافَةَ مِنْ أَصْحابِها آلِ بَيتِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم، إلى أَنْ خلَتْ لَهُ السَّبيلُ كَيْ يُصْبِحَ حاكِماً على بِلادِ المُسْلِمينَ.

وَبَدَأَ العَهْدُ الجَديدُ في حَياةِ الأمَّةِ: عَهدُ الظُّلْمِ والظّلامِ، وَعَهدُ مُخالَفَةِ الشَّريعَةِ الإسلاميَّةِ والتَّجاهُرِ بالفِسْقِ وَالطُّغيانِ.

وَوَجَدَ حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ نَفْسَهُ في مَوقِعٍ جَديدٍ من مَواقِعِ الجِهادِ وَالمَسؤوليَّةِ، وَراحَ يَتَذَكَّرُ قَولاً لأميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام: "أمّا بَعدُ. سَيَظْهَرُ عَلَيْكُم بَعدي رَجُلٌ رَحْبُ البُلعوم، مُنْدَحِقُ البَطنِ (كبيرُ البَطنِ)، يأكُلُ ما يَجِدُ، وَيَطلُبُ ما لا يَجِدُ، فاقْتُلوهُ، وَلَنْ تَقْتُلوهُ، ألا وَإنّهُ سَيأمُرُكُم بِسَبّي، وَالبَراءَةِ مِنّي!...".

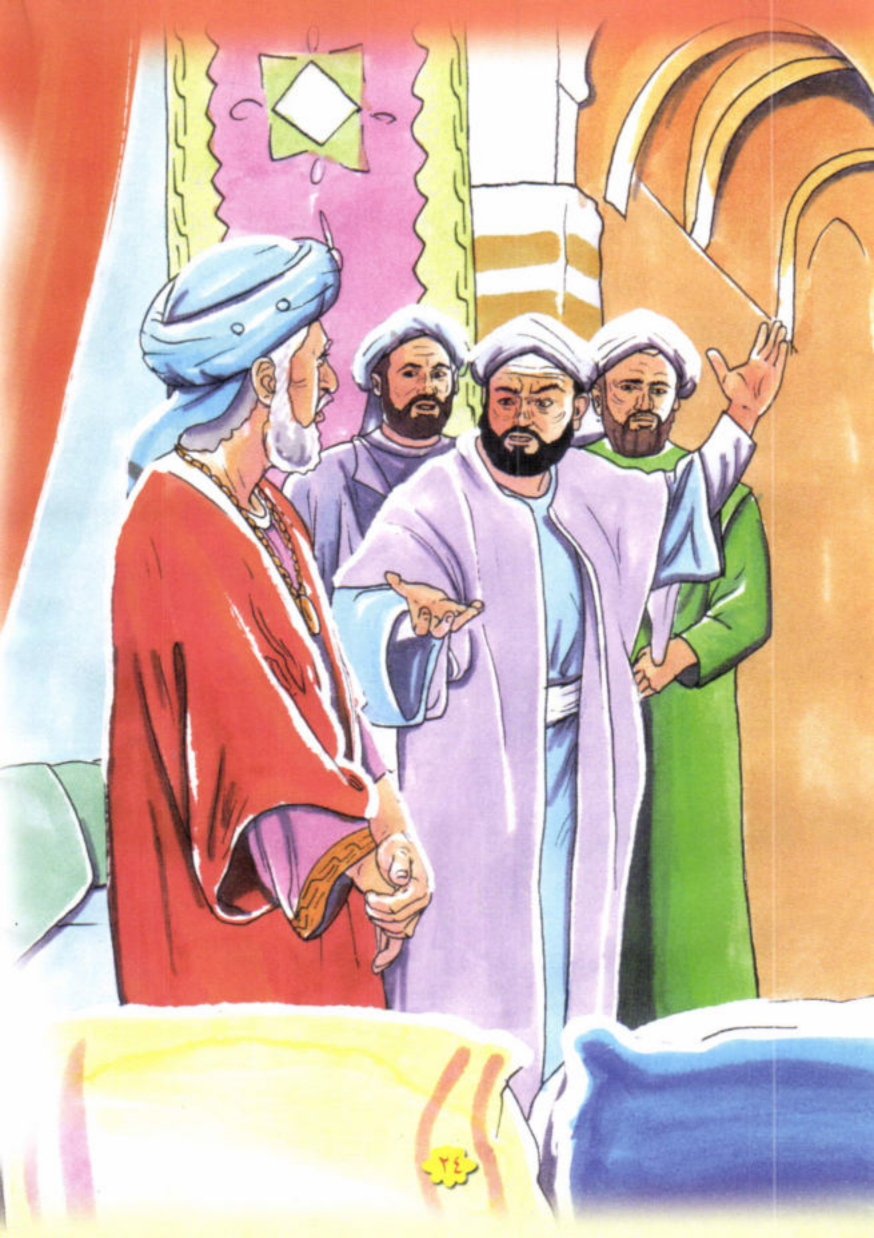


إنَّ ذلِكَ الرَّجُلُ لَم يَعُدْ مَجهولاً، وَباتَ حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ يَسْمَعُ في كُلِّ يَوم عَنْ قَبائِحِهِ ما يُخْجِلُ وَيُخْزي.

وَها هُوَ مُعَـاوِيَةُ عَدُوُّ مَحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وَآلِ بَيْتِهِ، يُعَيِّنُ والِياً على الكوفَةِ رَجُلاً مِن أكثَرِ النّاسِ سَمْعاً وَطاعَةً لِكَلامِهِ، وَأسْرَعِهِم تَنفيذاً لأوامِرِهِ. إنَّهُ المُغيرَةُ بْنُ شُعبَةَ!

وكانَ مِمّا قالَـهُ لَهُ علانِيَةً: "وَقَدْ أرَدْتُ إيصاءَكَ بِأَشْياءَ كَثيرَةٍ، فَأنا تارِكُها اعتِماداً على بَصَرِكَ بِما يُرضيني، وَيُسْعِدُ سُلطاني، وَيُصْلِحُ بِهِ رَعِيَّتي، وَلَسْتُ تارِكـاً إيصاءَكَ بِخَصْلَةٍ: لا تَتْحَمْ (لا تَتَوَرَّعْ) عَنْ شَتْمِ عَلِيٍّ وَذَمِّهِ، وَالتَّرَحُّـم على عُثْمانَ، والاستِغفـارِ لَهُ، والعَيبِ على أصْحابِ عَلِيٍّ، والاقْصاءِ لَهُم، وَتَركِ الاستِماعِ مِنهُم، وَبِإطراءِ شيعَةِ عُثمـانَ، والإدناءِ لَهُم، والاستِماعِ مِنْهُم".

طَبعاً لَم يَتَرَدَّدِ المُغيرَةُ في تَنفيذِ أوامِرِ سَيِّدِهِ مُعاوِيَةَ، لِيَكونَ حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ لَهُ بالمِرْصادِ في كُلِّ مَرَّةٍ يَتَفَوَّهُ فيها بِذَمِّ أميرِ المُؤمِنينَ عليه السلام على مَسْمَعٍ وَمَرأىً منَ النّاسِ في المَسْجِدِ، حَيثُ يَحلو لَهُ أنْ يَتَجَرَّأَ على أميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام بالسَّبِّ وَالشَّتمِ!



أمّا المُغيرَةُ فَكانَ يَعرِفُ ما لِحُجْرَ مِنْ مكانَةٍ بَينَ المُسلِمينَ، إضافَةً إلى زَعامَتِهِ في أَهلِ الكوفَةِ، لِذا لَم يَكُنْ لِيَرُدَّ على حُجْرَ بِأَكثَرِ مِنَ الكَلام.

وفي يَوْم مِنَ الأيّام الّتي تَصَدّى فيها حُجْرُ بنُ عُدَيٍّ لِلْمُغيرَةِ فيما كانَ يَتطاوَلُ على أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام بالسَّبِّ وَالشَّتْم،نَزَلَ المُغيرَةُ عَنِ المَنْبَرِ وَدَخَلَ قَصْرَهُ، فَسارَعَ إلَيْهِ أَتباعُهُ وَأَتْباعُ مُعاوِيَةَ يَحتَجّونَ على حِلْمِهِ عَنْ حُجْرَ الّذي لايَفْتَأُ يُثيرُ النّاسَ عَلَيْهِ، وَيُوَبِّخُهُ في كُلِّ مَرَةٍ يَقومُ فيها بِشَتْمِ الإمامِ عليه السلام، فَقالَ لَهُمُ المُغيرَةُ:" إنّي قَدْ قَتَلْتُهُ!".

فَسَأَلَهُ النّاسُ عَنْ مَعْنى ذلِكَ، فَقالَ:" إنَّهُ سَيَأْتي أَميرٌ بَعدي،فَيَحْسَبُهُ مِثْلي، فَيَصْنَعُ بِهِ شَبيهاً بِما تَرَوْنَهُ، فَيَأْخُذُهُ عِنْدَ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، فَيَقْتُلُهُ شَرَّ قَتْلَةٍ! إنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلي، وَضَعُفَ عَمَلي، وَما أُحِبُّ أَنْ أَبْتَدِئَ أَهْلَ هذا المِصْرِ بِقَتْلِ خِيارِهِم، وَسَفْكِ دِمائِهِم، فَيَسْعَدوا بِذلكَ وَأَشْقى، وَيَعِزُّ مُعاوِيَةُ في الدُّنيا، وَيَذِلُّ المُغيرَةُ في الآخِرَةِ. . .".



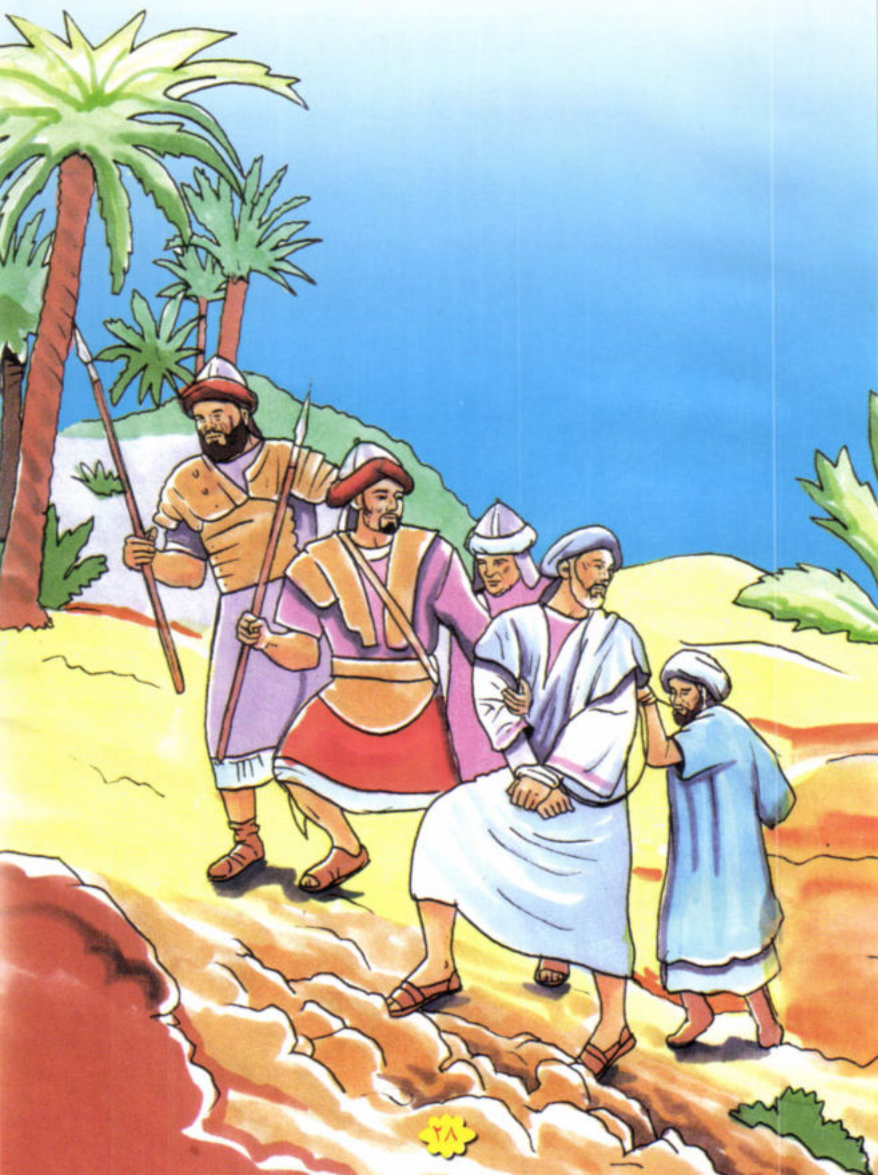
نَعَم! لَقَدْ كانَ المُغيرَةُ يَعلَمُ بِأَنَّ اللّهَ سَيُخزيهِ في الآخِرَةِ في حالِ تَعَرَّضَ لِحُجْرَ صاحِبِ الإمام عليه السلام بالقَتْلِ، وَمَعَ ذلكَ استَمَرَّ في تَطاوُلِهِ على أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام.

مَرَّتِ الأيّامُ، وَعُيِّنَ زِيادُ بنُ أَبيهِ والِياً على الكوفَةِ، فَدَعا بِحُجْرَ بنِ عُدَيٍّ إِلَيْه وَهَدَّدَهُ بِأَنَّ القَتْلَ سَيَكونُ مَصيرَهُ لَوِ استَمَرَّ في دِفاعِهِ عَنِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام، وَفي إثارَةِ النّاسِ على حُكْمِ الأُمَوِيّينَ.

خَشِيَتْ شيعَةُ أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام على حُجْرَ، فَصار أَصْحابُهُ يُرافِقونَهُ في ذهابِهِ إلى المَسْجِدِ وَإِيابِهِ مِنْهُ.

وظَلَّ حُجْرُ على مَوْقِفِهِ، لا يَدَعُ فُرْصَةً تَضيعُ مِنْهُ،وَيُمْكِنُ لَهُ فيها أَنْ يَقولَ قَولاً يُحَرِّضُ النّاسَ على الظّالِمينَ.

حتّى ضاقَ زِيادُ ذَرْعاً بِحُجْرَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحابِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام، فَأَشْهَدَ النّاسَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إلى مُعاوِيَةَ الّذي أَمَرَ بِأَنْ يُساقوا إلى مَرْجِ عَذراءَ( قَرْيَةٌ قُرْبَ مَدينَةِ دِمَشْقَ)كَيْ يُقْتَلوا هُناكَ بَعيداً عَنْ أَعْيُنِ شيعَةِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام.



وَلَمّا وَصَلَ حُجْرُ وَأَصْحابُهُ إلى هُناكَ، سَأَلَ عَنِ اسمِ القَرْيَةِ، فَقالَ لَهُ النّاسُ:" عَذراءُ!". فَقالَ:" الحَمْدُ لِلّهِ!".

ثُمَّ أَرْدَفَ يَقولُ:" أَما وَإنّي لأَوَّلُ مُسْلِمٍ نَبَّحَ كِلابَها في سَبيلِ اللّهِ، ثُمَّ أُتِيَ بي اليَوْمَ مَصْفوداً.".إذْ دَخَلَها حُجْرُ فاتِحاً يَومَ فَتَحَ المُسْلِمونَ بِلادَ الشّام.

وَكانَ مِنْ بَيْنِ أَصْحابِ أَميرِ المُؤْمِنينَ في ذلكَ اليَوم ابنٌ لِحُجْرَ، فَعَرضَ أَتْباعُ مُعاوِيَةَ عَلَيْهِمْ جَميعاً أَنْ يَتَبَرَّأوا مِنَ الإمام عَلِيٍّ عليه السلام وَيَلْعَنوهُ؛ وَبِذلكَ تَكونُ نَجاتُهُمْ مِنَ القَتْلِ! فَكانَ جوابُهُم جَميعاً: أَنْ تَوَلّوا الإمامَ عَلِيّاً عليه السلام رَغْمَ السُّيوفِ المُسَلَّطَةِ على رِقابِهِم، أَمّا حُجْرُ فَقَدْ طَلَبَ مِنَ القَوم أَنْ يُمْهِلوهُ كَيْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَينِ، فَصَلّى، وَدعا اللّهَ سُبحانَهُ،وَلَمّا طَوَّلَ حُجْرُ في صَلاتِهِ سَأَلَهُ أَحَدُ أَتْباع مُعاوِيَةَ:" طَوَّلْتَ. أَجَزِعْتَ؟".

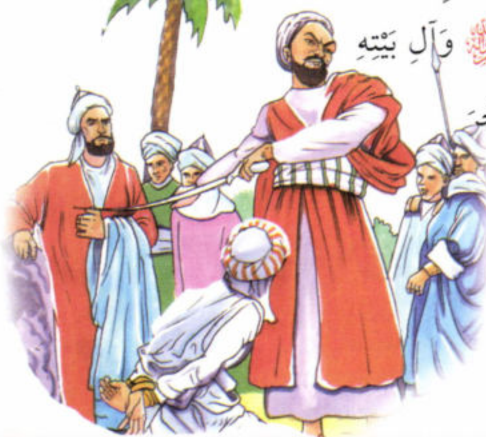
فَقالَ:" ما تَوَضَّأْتُ قَطُّ إلاّ صَلَّيْتُ، وَماصَلَّيْتُ صلاةً قَطُّ أَخَفَّ مِنْ هذِهِ، وَلَئِنْ جَزِعْتُ، لَقَدْ رَأَيْتُ سَيْفاً مَشْهوراً وَكَفَناً مَنْشوراً، وَقَبْراً مَحْفوراً.".

وَكانَ مَعَهُ وَلَدُهُ مِنْ بَيْنِ الأصْحابِ المَحْكومِ عَلَيْهِمْ بالقَتْلِ، فَطَلَبَ مِنَ القَومِ أَنْ يَقْتُلوا وَلَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلوه ! تَعَجَّبَ القَومُ مِنْ ذلكَ، وَبَعدَ أَنْ فَعَلوا ذلِكَ قالَ لَهُم: " خِفْتُ أَنْ يَرى وَلَدي هَوْلَ السَّيْفِ على عُنُقي فَيَرْجِعُ عَنْ وِلايَةِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ عليه السلام!".

بِهذا اليَقينِ واجَهَ حُجْرُ سُيوفَ الظّالِمينَ، وَبِهذا التَّحَدّي، كَيْ يَظَلَّ أُمثولَةً يَتَعَلَّمُ مِنْها البَشَرُ على مَرِّ العُصورِ مَعنى الثَّباتِ على الحَقِّ.

وَبَعْدَ ذلكَ أَقْبَلَ أَتْباعُ مُعاوِيَةَ، وَضَرَبوا رَأْسَ حُجْرَ بْنِ عُدَيٍّ بالسَّيفِ، فَسَقَطَ شَهيداً مُضَرَّجاً بِدَمٍ مَمْزوجٍ بِحُبِّ أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام، وَوَفاءً للنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وَآلِ بَيْتِهِ الأطْهارِ. وَقَدْ أَحْدَثَ مَقْتَلُ حُجْرِ بنِ عُدَيٍّ استِياءً عارِماً في بِلادِ المُسْلِمينَ واستِنكاراً كادَ أَنْ يُطيحَ بالحُكْمِ الأمَويِّ الظّالِمِ.





حتّى إنَّ عائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَبَّرَتْ عَنِ استِيائِها مِنْ ذلكَ الفِعْلِ الشَّنيعِ حينَ التَقَتْ مُعاوِيَةَ الّذي زارَها عِندَما خَرَجَ إلى الحَجِّ، فَقالَتْ لَهُ:" يا مُعاوِيَةُ! أَقَتَلْتَ حُجْرَ وأَصْحابَهُ؟ فَأَيْنَ عَزُبَ حِلْمُكَ عَنْهُم؟ أَما إنّي سَمِعْتُ رَسولَ اللّهِ ﷺ يَقولُ:"يُقْتَلُ بِمَرْجِ عَذْراءَ نَفَرٌ يَغْضَبُ لَهُمْ أَهْلُ السَّمواتِ.". فَقالَ مُعاوِيَةُ:" لَمْ يَحْضُرْني رَجُلٌ رَشيدٌ يا أُمَّ المُؤْمِنينَ!". (يَعني لَم أَجِدْ مَنْ يَنْصَحُني بِأَنْ لا أَفْعَلَ).



رَضِيَ اللّهُ عَنْ حُجْرَ بن عُدَيٍّ، صاحِبِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عليه السلام الّذي أَضْحى قَبْرُهُ مَزاراً يَتَبَرَّكُ بِهِ المُؤْمِنونَ لِما لَهُ مِنْ كَرامَةٍ

